مكانة الدعوة إلى الله
وأسس دعوة غير المسلمين

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدِّين، وأتمَّ علينا النِّعمة، وجعل أمَّتنا أمَّةَ الإسلام خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولاً منَّا يتلو علينا آياته ويزكِّينا ويعلِّمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أهمية الدعوة إلى الله وحاجة البشرية إليها

أما بعد: فلا شكَّ أنَّ الدعوةَ إلى الله تعالى من أهم الواجبات الدينية، ومن أجلِّ القربات وأفضل الطاعات؛ إذ بها يتبيّن الهدى من الضلال، والحق من الباطل، والغي من

الرشاد، والخطأ من السداد، والصلاح من الفساد، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة.

فإنَّ الله تبارك وتعالى قد بعث رسلَه عليهم السلام دعاةً إلى دينه، وهداةً لعباده، فأوضح على أيديهم صراطه المستقيم ودينه القويم، وقد رحم عباده وأكرمهم ببعث الرسل إليهم ليعرفوا تفاصيل دينه، وليعبدوا الله على بصيرة، ولينتهوا عما نهوا عنه على بصيرة، ولئلاَّ يقولوا لا ندري ما أراد الله منَّا، أو ما جاءنا من بشير ولا نذير، فأقام بهم الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة **{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ**

عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1].

فدعوا الناسَ إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم، وبيّنوا لهم ما فيه خيرهم وسعادتهم، وحذّروهم من الوقوع في مهاوي الردى ومنزلقات الضلالة، وطهَّروا قلوبهم ونفوسهم من أدران الخسائس والرذائل، وحرَّروا قلوبهم من رقِّ الأهواء والشهوات، وأيقظوا بصائرهم لطلب رفيع المنازل وعالي الدرجات، وبلّغوهم دين الله البلاغ المبين، فما تركوا خيراً إلاَّ دلُّوا أممهم عليه، ولا شرًّا إلاَّ حذّروهم منه، وأعظم خير دلُّوا عليه هو توحيد الله وإخلاص الدين له، وأعظم شرٍّ حذّروا منه هو الكفر به وإشراك

(١) سورة: الأنفال، الآية: (٤٢).

غيره معه، كما قال تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}[١]، وقال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}[٢]، وقال تعالى: {**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**}[٣]، وقال تعالى: {**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**}[٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) سورة: النحل، الآية: (٣٦).
(٢) سورة: الأنبياء، الآية (٢٥).
(٣) سورة: الحديد، الآية: (٢٥).
(٤) سورة: البقرة، الآية: (٢١٣).

ثم إنَّ الله تعالى إنَّما خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، وليعظِّموا أمره ونهيه، وليعرفوه بأسمائه وصفاته، كما قال سبحانه: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**}(١)، وقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}(٢)، وقال تعالى: {**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مثلهنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**}(٣)، ولمَّا كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبه

---

(١) سورة: الذاريات، الآية: (٥٦).
(٢) سورة: البقرة، الآية: (٢١).
(٣) سورة: الطلاق، الآية: (١٢).

لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم وبصيرة، فتتابع رسل الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه، كما قال الله تعالى: {**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**}[(١)]، وقال تعالى: {**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْراً**}[(٢)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: « يعني يتبع بعضهم بعضاً »[(٣)]، حتى ختمهم الله بسيّدهم، وأفضلهم وإمامهم نبيّنا محمد ﷺ، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، ودعا إلى الله سرًّا وجهراً، وقام بأعباء الرسالة أكمل قيام، وأوُذي في الله أشدَّ الأذى، فصبر كما

(١) سورة: فاطر، الآية: (٢٤).
(٢) سورة: المؤمنون، الآية: (٤٤).
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٢٤٥).

صبر أولوا العزم من الرسل، ولم يزل داعياً إلى الله هادياً إلى صراطه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتمَّ به النعمة، ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجاً، ولم يمت صلوات الله وسلامه عليه حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النعمة، كما قال تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}**[١].

ثم سار أصحابُه الكرام من بعده على هذا السبيل القويم والصراط المستقيم، وقاموا به خير قيام، فنشروا الإسلام ورفعوا لواءه في كثير من البلاد لكمال صدقهم وقوة يقينهم وشدَّة ثباتهم وكمال إيمانهم، فضربوا للناس

---

(١) سورة: المائدة، الآية: (٣).

في ذلك بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها، وحازوا قصب السبق في هذا الميدان المبارك، ثم قفا نهجهم في ذلك تابعوهم بإحسان من الهداة المصلحين والدعاة الناصحين والأئمة المخلصين.

فبهذا انتشر دين الله وعلت كلمته وعمَّ في أرجاء المعمورة؛ إذ « معلوم أنَّه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلاَّ بالدعوة، ولا هلكت أمة في الأرض إلاَّ بعد أن أعرضت عن الدعوة، أو قصر عقلاؤها في الأخذ على يد سفهائها، وما تداعت أركان ملَّة بعد قيامها، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها إلاَّ بترك الدعوة، فإذا أُهملت الدعوة فشت الضلالة وشاعت الجهالة، وخربت

البلاد، وهلك العباد »[١].

فالدعوة إلى الله ضمان للمجتمع الذي توجد فيه من الهلاك العاجل والآجل.

ومن هنا أيضاً كانت « حاجة الأمة إلى الدعوة إلى الله الخالصة المخلصة التي تصحح عقائدهم وتنقِّيها من الأكدار والشوائب وتحثُّهم على أداء ما يجب لله أو لخلقه واجتناب ما يحرم، وتحذِّرهم من مغِبَّة الفساد والإفساد كحاجتهم إلى نزول الغيث وإلى الطعام الشهي والماء البارد، بل أشدّ لأنَّ مَن فقد الطعام والشراب غايته الموت، وربَّما أفضى به الموت إلى الجنة، أمَّا فقدَ الدِّين فهو يترتّب عليه الخسران الأبدي الذي يفضي بالعبد إلى النار وبئس القرار، وفرْقٌ

(١) فتاوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد (ص:٣٠٨).

بين الخسارتين ››[١].

حقيقةُ الدعوة إلى الله

ثمَّ إنَّ الدعوةَ إلى الله التي تكون بها سعادة الناس وفلاحهم في الدنيا والآخرة وسلامتهم من الخسران في الدارين ‹‹ هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمّن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشرِّه، والدعوة إلى أن

(١) نصيحة للدعاة إلى الله تعالى للشيخ أحمد النجمي (ص:٩،١٠)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/١).

يعبد العبدُ ربَّه كأنَّه يراه ...

فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه، وأصلُ ذلك عبادته وحده لا شريك له، كما بعث الله بذلك رسلَه وأنزل به كتبَه، قال تعالى: {**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**}(١)، وقال تعالى: {**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**}(٢)، وقال تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ**

---

(١) سورة: الشورى، الآية: (١٣).

(٢) سورة: الزخرف، الآية: (٤٥).

وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ}[١]، وقال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}[٢].

وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ **أنَّه قال:** ((إنَّا معاشر الأنبياء دينُنا واحد، الأنبياء إخوةٌ لعلاّت، وإنَّ أولى الناس بابن مريم لأنا، إنَّه ليس بيني وبينه نبيٌّ))[٣]،

فالدين واحد، وإنَّما تنوَّعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى: {**لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ**

---

(١) سورة: النحل، الآية: (٣٦).

(٢) سورة: الأنبياء، الآية (٢٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري (رقم:٣٤٤٣،٣٤٤٢)، وصحيح مسلم (رقم:٢٣٦٥). بألفاظ مقاربة لما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله.

شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً}[1] ... »[2].

فدين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحد لا اختلاف بين أديانهم ولا تعارض، كلهم يدعون إلى توحيد الله وإخلاص الدين له والخضوع لأمره والبعد عن مساخطه والإقبال على طاعته، بعثوا جميعهم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، ولإنقاذهم من النار، ومن طاعة الشيطان، ولتخليصهم من طاعة الهوى ورِقِّ الشهوات إلى طاعة الله واتِّباع رسله عليهم الصلاة والسلام، مما يكفل لهم السعادة في الدين،

---

(١) سورة: المائدة، الآية: (٤٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٥٧ ـ ١٥٩).

والفوز والفلاح في الآخرة، فمن اتّبعهم هُدِيَ إلى سبيل الرّشاد، وظفر بمعاقد الصلاح والفلاح، وسلم من أوضار الرّدى والانحراف، وسمى بنفسه في أعلى درجات الفضيلة وأرفع منازل الإحسان.

« وليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أنَّ العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كلَّه في أشدِّ الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجليّة التي تشرح للناس حقيقة الإسلام وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وتشرح لهم معنى لا إله إلاَّ الله ومعنى شهادة أنَّ محمّداً رسول الله، فإنَّ أكثر الخلق لم يفهموا هاتين الشهادتين كما ينبغي، ولذلك دعوا مع الله غيره وابتعدوا عنه، إنَّ هاتين الشهادتين هما أصلُ الدين وأساسُ الملة

وقاعدة الإسلام التي عليها مداره »[١].

فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى دينه القويم وصراطه المستقيم، القائم على إخلاص الدين له، والمتابعة لرسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الدين الحق القويم، الذي كلَّما تأمّل فيه الناظر أو دافع عنه المناظر، ظهر له فيه صادقُ البراهين، وقويَ به اليقين، وازداد إيمان المؤمنين، وأشرق نورُه في صدور العالمين، بخلاف الأديان الباطلة والمذاهب المختَرَعة التي ليست من وحي ربِّ العالمين ولا من تنزيل خالق الخلق أجمعين، فإنَّها إذا جادل عنها المجادل ورام أن يقيم عودَها المائل لم يظفر

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣٣٦/٢).

منها إلاَّ بالقبح والفساد والتناقض والتضاد، وشقاء وهلاك العباد.

ولهذا فإنَّ الواجب على كلِّ إنسان أن يعلم أنَّ قطبَ السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور، لا يكون إلاَّ بطاعة الله ورسوله ﷺ، إذ بذلك دون غيره يتبيّن الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغي من الرشاد، والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتَّقون من الفجار، وهذا أمرٌ لا يمكن للعقول أن تهتدي إليه وأن تُلِمَّ بحسنه إلاَّ إذا طلع عليها نورُ الرسالة ووصل إليها حقيقة الإسلام وحسنه وكماله.

حكم الدعوة إلى الله

ولهذا كان تبليغ هذا الدين ونشره بين

العالمين واجبٌ من الواجبات الدينية وفريضةٌ من فرائض الإسلام، قال الله تعالى: {**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}(١)، وهي من فروض الكفاية إذا قام بها بعض أفراد الأمة المسلمة سقط الإثم عن الباقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنَّها فرضٌ على الكفاية، وإنَّما يجب على الرجل المعيَّن من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، وهذا شأنُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول والجهاد في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٠٤).

... »[١].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

« وصرّح العلماء أنَّ الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإنَّ كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرضُ كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنّةً مؤكَّدةً وعملاً صالحاً جليلاً.

وإذا لم يقم أهلُ الإقليم أو أهلُ القطر المعيَّن بالدعوة على التمام صار الإثمُ عاماًّ، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٦٦).

إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أمّا بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب أن يوجد طائفةٌ منتصبةٌ تقوم بالدعوة إلى الله جلّ وعلا في أرجاء المعمورة تبلّغ رسالات الله، وتبيِّن أمر الله عزَّ وجلَّ بالطرق الممكنة»[١].

فضل الدعوة إلى الله والحثّ عليها والثناء على القائمين بها

وقد تضافرت النصوص في الكتاب والسنة الدالّة على فضل الدعوة والمبيّنة لعظيم مكانة الدعاة ورفيع قدرهم عند الله، حيث إنَّه سبحانه قد رفع مِن شأن الدُّعاة وأبْلَغَ في الثناء عليهم ومَدَحَهم وبيَّنِ فضلَهم في آي كثيرة من القرآن الكريم، يقول الله

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (٣٣٤/٢ ـ ٣٣٥).

تعالى: {**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ**}(١).

والاستفهام هنا للتقرير، أي لا أحد أحسن قولاً مِمَّن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، وقام بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحثّ عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عمّا نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك(٢)، فمن كان كذلك فهو أحسن النَّاس قولاً وأصحهم طريقة وأقومهم مسلكاً.

---

(١) سورة: فصلت، الآية: (٣٣).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٧/٨٤).

تلا الحسن البصري رحمه الله هذه الآية **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** ثمَ قال: ((هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب اللهَ في دعوته، ودعا الناسَ إلى ما أجاب اللهَ فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله))[1].

ولا ريب أنَّ هذا الثناء البالغ يحفِّز الهمم ويلهب الشعور ويحرّك النفوس إلى الدعوة إلى الله والقيام بها على أحسن وجه.

ويقول تعالى: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى**

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (١٠١/٤).

الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[١]، وفي هذه الآيةَ الإخبارُ بأنَّ سبيلَ النبي الكريم ﷺ ومسلكه وطريقه وكذلك من اتَّبعه بإحسان هو الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له على بصيرة من الله ونور وبرهان.

ويقول تعالى: {**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}[٢]، ويقول تعالى: {**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}[٣]، فذكر الدعوة إليه والدعوة إلى سبيله؛ لأنَّ الداعيَ الذي يدعو غيره إلى أمر لا بدَّ فيما يدعو

---

(١) سورة: يوسف، الآية: (١٠٨).
(٢) سورة: النحل، الآية: (١٢٥).
(٣) سورة: القصص، الآية: (٨٧).

إليه من أمرين:

أحدهما: المقصود المراد.

والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود.

فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله وتارة إلى سبيله فإنَّه سبحانه المعبود المراد المقصود بالدعوة[١].

ويقول تعالى: {**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**}[٢]، والآيات في الحثِّ على الدعوة إلى الله والترغيب في ذلك وبيان ما أعدَّ الله للدعاة إليه من الثواب والأجر والرفعة في الدنيا والآخرة كثيرة

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٢/١٥).
(٢) سورة: آل عمران، الآية: (١٠٤).

جدًّا.

وهكذا السُنَّة النَّبوية ورد فيها أحاديثُ كثيرةٌ دالَّةٌ على فضل الدعوة إلى الله وعِظم ثواب الداعين إليه، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «مَن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»[١]، وروى أيضاً مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[٢].

---

(١) صحيح مسلم (رقم:١٨٩٣).
(٢) صحيح مسلم (رقم:٢٦٧٤).

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النّعم »، رواه البخاري ومسلم[١].

أصنافُ المَدْعُوِّين

ينقسم المدعوون إلى صنفين رئيسين ويندرج تحت كلِّ صنف منهما أقسام عديدة:

الصنفُ الأوَّلُ: أهلُ الإسلام الذين قبلوا هذا الدين وخضعوا لربِّ العالمين، وآمنوا برسوله الكريم ﷺ، ويُعرفون بأمَّة الإجابة، وهم في الجملة على ثلاث درجات: سابقٌ بالخيرات، ومقتصدٌ، وظالمٌ لنفسه، كما قال تعالى: {**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ**

(١) صحيح البخاري (رقم:٣٠٠٩)، صحيح مسلم (رقم:٢٤٠٦).

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}[١]، وجميعهم من أهل الجنة، ولذا قال تعالى في الآية التي تليها: {**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**}[٢]، إلاَّ أنَّ السابقَ بالخيرات والمقتصدَ كلاهما يدخل الجنَّة بغير حساب، وأمَّا الظالم لنفسه فأمره إلى الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، وإن عذَّبه فإنَّه لا يَخلُدُ في النار. فهؤلاء يُدعون إلى الثبات عليه، والتزوّد منه، والبعد عمَّا ينقصه ويخلُّ به، كلٌّ منهم بحسبه.

الصنفُ الثاني: أهلُ الكفر أو غير

---

(١) سورة: فاطر، الآية: (٣٢).
(٢) سورة: فاطر، الآية: (٣٣).

المسلمين؛ لأنَّ مَن لم يكن مسلماً فهو كافر، لقوله تعالى: {**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ**}[١]، وقوله: {**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**}[٢]، وهؤلاء ينقسمون إلى أقسامٍ كثيرةٍ وطرائقَ متنوِّعةٍ، وألوانٍ مختلفةٍ في الكفر والضلال والباطل، لكن يمكن إجمالُهم في الأصناف التالية:

١ ـ **الملاحدة**: الذين ينكرون وجود الله ويجحدون ربوبيّته كالدَّهريين قديماً الذين ذكر الله عنهم في القرآن قولهم: {**إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ**

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٩).
(٢) سورة: آل عمران، الآية: (٨٥).

يَظُنُّونَ}[١]، وكالشيوعيين حديثاً الذين شعارهم: أن لا إله والحياة مادة، فأنكروا وجود الله وجميع الأمور الغيبية كالبعث والحساب والجنة والنار ونحو ذلك، ويقولون: نحن نؤمن بثلاثة: ماركس، ولينين، وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، والدِّين، والملكية الخاصة، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون.

٢ ـ **المشركون:** وهم أهل الأوثان والأصنام الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه من الأنداد والوسطاء، يحبونهم كحب الله، ويصرفون لهم من الخضوع والذّلِّ والعبادة ما لا يصرف إلاَّ لله، يقول الله تعالى: {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ**

(١) سورة: الجاثية، الآية: (٢٤).

آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِلَّهِ}[١]، ويقول تعالى: {**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى}**[٢]، وهؤلاء لا ينكرون وجود اللهَ وخلقه للأشياء، بل يؤمنون بأنه الخالق الرازق المنعم المدبِّر، لكن جعلوا بينهم وبينه الوسطاء والشفعاء يدعونهم ويسألونهم ويستغيثون بهم، ويصرفون لهم أنواع العبادة {**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ}**[٣].

٣ ـ **المرتدُّون:** وهَم الذين دخلوا في هذا الدين وأذعنوا لشرع ربِّ العالمين، ثم

---

(١) سورة: البقرة، الآية: (١٦٥).

(٢) سورة: الزمر، الآية: (٣).

(٣) سورة: يونس، الآية: (١٨).

نكصوا على أعقابهم، وكفروا بعد إيمانهم، وارتدُّوا بعد إسلامهم **{وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}**(١).

والمُرتدُّون في الجملة صنفان:

١ ـ صنفٌ ارتدُّوا عن الدِّين ونابذوا الملَّة وعادوا إلى الكُفر.

٢ ـ وصنفٌ آخرَ وهم الذين فرّقوا بين أحكام الدِّين فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، كالذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة(٢).

والارتدادُ عن الدين والخروج منه يكون بأمور عديدة عقد لها أهل العلم أبواباً خاصة في كتب الأحكام في كتاب «أحكام المرتدِّين

---

(١) سورة: البقرة، الآية: (١٠٨).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنّووي (٢٠٢/١).

)). وللردَّة أسبابٌ عديدةٌ، ودوافعُ متنوِّعة، منها اتِّباع الأهواء، والجهل بالدين، والطمع في الدنيا، ودعاة السوء.

٤ ـ **أهل الكتاب:** وهم الذين لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ من أهل الديانات السماوية السابقة؛ كاليهود والنصارى، وسُمُّوا أهل كتاب لكونهم منتسبين إلى كتبهم السابقة مع ما اعتراها من تحريف وتغيير وتبديل، فمن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ ويتبعه من هؤلاء فهو كافر؛ لأنَّ رسالة محمد ﷺ ناسخةٌ للشرائع السابقة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ مِن هذه الأمَّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثمَّ يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلاَّ كان من أصحاب

النار))[1].

٥ ـ **المنافقون**: وهم أغلظ الكفار كفراً، وأشدّهم على المسلمين خطراً، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون في قلوبهم الكفر والفسوق والعصيان، {**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ**}[2]، ولذا فإنَّ الله تعالى قد جعل عقوبات هؤلاء في النار أشدَّ العقوبات وجعلهم في أسفل دركاتها وأحطّ منازلها: {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**}[3].

---

(١) صحيح مسلم (رقم:١٥٣).
(٢) سورة: البقرة، الآية: (١٤).
(٣) سورة: النساء، الآية: (١٤٥). وهذا فيه دلالةٌ على أنَّ الكفارَ متفاوتون يوم القيامة في عذاب النَّار بحسب كفرهم وإيذائهم للمسلمين وصدِّهم عن سبيل
=

وجميع هؤلاء الكفار على اختلاف أصنافهم وتباين طرائقهم مخاطَبون بالدعوة الإسلامية، مُطالَبون بالدخول في الدِّين الإسلامي؛ لينقذوا أنفسهم من النار يوم القيامة، وليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، وليسلموا من الخزي العظيم والخسران المبين، ويجب على المسلمين أن يبلّغوهم رسالة الإسلام وأن يبيّنوا لهم هذا الدِّين، ولا سيما في وقتنا الحاضر، فـ « قد يسّر الله عزَّ وجلَّ أمر الدعوة أكثر بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسّرة أكثر، من طرق كثيرة، وإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوِّعة عن طريق الإذاعة،

الله، وانظر: فتحَ الباري لابن حجر (٤٢٣/١١).

وعن طريق التلفزة، وعن طريق الصحافة، ومن طرق شتى »[١].

وينبغي عند دعوة هؤلاء أن تُراعى أحوالُهم، وأن يعرف الداعيةُ نوعَ كفرهم، وما لديهم من شُبَهٍ فيه وأسبابَه ودواعيَه، ثم يخاطب كلَّ قومٍ بالأسلوب المناسب لهم، وكلَّ فئة بالطريقة المؤثِّرة فيها، ولا ريب أنَّ طريقة إبلاغ الدعوة للملحد مختلفة عن إبلاغها للمشرك، وطريقة إبلاغها للمشرك مختلفة عن طريقة إبلاغها للكتابي ، وهكذا، كما ينبغي أيضاً أن تُراعى نفسياتهم وأحوالهم ومواقفهم من الدِّين؛ فمنهم الراغب في الخير، ولكنه غافلٌ قليلُ البصيرة، ومنهم

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (٣٣٥/١).

المعرضُ عن الحق المشتغل بغيره، ومنهم المعاندُ المجادل، ولكلٍّ صنف من هؤلاء أسلوبٌ يناسبه عند دعوته.

مراتب الدعوة بحسب حال المدعوِّين

تبيّن بما تقدّم ضرورةُ مراعاة حال المدعوِّين عند دعوتهم إلى الله، وأهميّةُ مخاطبة كلٍّ منهم بالأسلوب المناسب له، والأقربِ للتأثير فيه؛ إذ إنَّ مقصودَ الداعية الناصح هو إيصالُ الخيْر إلى المدعوِّين بأنجح طريقٍ وأقربِ سبيلٍ، مراعياً في كلٍّ منهم ما يناسبه وما يكون أقوى تأثيراً فيه.

ويمكن في الجملة أن يُقال: إنَّ مراتبَ الدعوة عند مراعاة حال المدعوِّين ثلاثٌ هي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلى هذه الأقسام الثلاثة

أشار الله في القرآن الكريم بقوله: {**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}[١].

قال ابن القيم رحمه الله في بيان معنى هذه الآية:

« فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعوِّ، فإنَّه إمَّا أن يكون طالباً للحق راغباً فيه محبًّا له مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يُدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال، وإمَّا أن يكون معرضاً مشتغلاً بضدِّ الحق ولكن لو عُرِّفَهُ عَرَفَهُ وآثره واتَّبعه، فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإمَّا أن يكون معانداً معارضاً فهذا يُجادَل بالتي هي

(١) سورة: النحل، الآية: (١٢٥).

أحسن »[١].

فهذه الآية الكريمة فيها تحديدٌ للخطوط العريضة
ـ كما يُقال ـ للمراتب الناجحة في الدعوة بحسب حال المدعوِّين « لأنَّ المدعوِّين أصنافٌ كثيرةٌ وطبقاتٌ مختلفةٌ:

١ ـ فمنهم الراغبُ في الخير ولكنه غافلٌ قليلُ البصيرة فيحتاج إلى دعوته بحكمة، وهي تفهيمه الحق وإرشاده إليه وتنبيهه على ما فيه من المصلحة العاجلة والآجلة، فعند ذلك يقبل الدعوةَ ويتنبَّه من غفلته وجهله ويبادر إلى الحق.

٢ ـ ومنهم المعرضُ عن الحق المشتغل

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٢٧٦ ـ ١٢٧٧).

بغيره، فمثلُ هذا يحتاج إلى الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والتنبيه على ما في التمسك بالحق من المصالح العاجلة والآجلة، وعلى ما في خلافه من الشقاء والفساد وسيِّء العواقب، ولعلّه بهذا يجيب إلى الحق ويترك ما هو عليه من الباطل.

٣ ـ الطبقة الثالثة من النَّاس مَن له شبهةٌ قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له فهذا يحتاج إلى مناقشة وجدال بالتي هي أحسن حتى يفهم الحق وتنزاح عنه الشبهةُ، ومثل هذا يجب على الداعي أن يرفق به أكثر من الذين قبله وأن يصبر على مناقشته واقتلاع جذور الشبهة من قلبه، وذلك بإيضاح الأدلّة الدّالة على الحق وتنويعها وشرحها شرحاً وافياً جلياً على حسب لغة

المدعو وعرفه »[١].

ولا ريب أنَّ هذا يتطلّب من الداعي مزيداً من الفقه في الدين، والبصيرة بأحكام الشريعة، والمعرفة بأحوال المدعوين.

ترتيبُ الأولويات في الدعوة

ثمَّ مع ذلك كلّه لا بدَّ من مراعاة الأولويات في الدعوة إلى الله، فلا يبدأ بالمهم قبل الأهمّ، ولا يبدأ بالفروع قبل الأصول، بل لا بدَّ أوَّلاً من ترسيخ العقيدة وبيان الإيمان وتقرير أصول الدين، ثم بعد ذلك ينتقل إلى بيان الأحكام الشرعية والأوامر والنواهي والأخلاق والآداب، فالداعية « إذا أراد الدعوة إلى ذلك، فليبدأ بالدعوة إلى

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣٤١،٣٤٢/١).

التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلاَّ الله إذ لا تصح الأعمال إلاَّ به فهو أصلها الذي تبنى عليه، ومتى لم يوجد لم ينفع العمل بل هو حابط، إذ لا تصح العبادة مع الشرك كما قال تعالى: {**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**}[(١)]، ولأنَّ معرفة معنى الشهادة هو أوَّلُ واجب على العباد فكان أوّل ما يبدأ به في الدعوة »[(٢)]. فهذا هو منهجُ الأنبياء جميعهم في الدعوة إلى الله يبدؤون أوَّلاً بدعوة أقوامهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ونبذ الشِّرك ثم بعد ذلك يعلِّمون مَن نطق

---

(١) سورة: التوبة، الآية: (١٧).
(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله (ص:١٢٢، ١٢٣).

بالتوحيد وأقرَّ به بقيَّة شرائع الدين، وهكذا كان الشأن في خاتم النبيّين ﷺ وأتباعه بإحسان إلى يوم الدِّين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ لمّا بعث معاذاً إلى اليمن قال له: ((إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أوّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلاّ الله - وفي رواية: ((أن يوحدوا الله)) - فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسُ صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم واتَّقِ دعوةَ المظلوم فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب

»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أنَّ أصلَ الإسلام وأوّل ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً، والعدوُّ وليّاً، والمباحُ دمُه ومالُه معصومَ الدم والمال»[٢].

ثم بعد الدعوة إلى التوحيد تبيّن الأحكام ويُدعى الناسُ إليها وتعالج الأمراض الفاشية في المجتمع، فنبيُّ الله لوط عليه السلام ركّز بعد

---

(١) صحيح البخاري (رقم:١٣٩٥)، صحيح مسلم (رقم:١٩).
(٢) نقله الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص:١٢٧).

الدعوة إلى التوحيد على التحذير من فاحشة اللّواط لفشوِّها وانتشارها في قومه، ونبيُّ الله شعيب عليه السلام ركّز على التحذير من نقص الكيل والوزن، وهكذا بقيّة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين يهذّبون العقائد أوّلاً ثم يستصلحون بعد ذلك الجوانب الأخرى من الفساد، وهدفهم ومقصودهم من ذلك كله هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به وينجوا من النار وسخط الجبار.

طريقة دعوة الكفار إلى الإسلام

إنَّ الطريقة المثلى الكاملة في دعوة الكفار إلى الإسلام هي طريقة القرآن الكريم بحججه الناصعة وبراهينه الساطعة ودلالاته القويمة وإرشاداته البيِّنة الواضحة، وعندما

نتأمّل في الطرق التي في القرآن لدعوة الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم نجد أنَّها تتركّز في النقاط التالية[١]:

١ ـ بيان محاسن الدين الإسلامي وكماله وجماله في عقائده وعباداته وآدابه، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: « المسلمون اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه وبيان حقيقته، والله لو عرفه الناس اليوم ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجاً »[٢].

٢ ـ ذكر البراهين الدالة على رسالة محمد ﷺ ليهتدي من قصده الحق والإنصاف

---

(١) انظر في ذلك: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن سعدي (ص:٩).

(٢) مجموع مؤلفاته (١/٣٣٨).

ولتقوم الحجة على المعاند.

٣ ـ إبطال شبهات الكفار حول الدين، ونقض ما يحتجون به أو يجادلون به المسلمين، وقد دلّ القرآن الكريم على أوضح البراهين وأقوى الحجج الكافية لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

٤ ـ تذكير الكفار بعقوبات الأمم السالفة وإهلاك الله للأمم العاتية بأنواع من العقوبات وصنوف من المَثُلات.

٥ ـ تحذيرهم من عقوبات الدنيا وعقوبات الآخرة التي أعدّها الله للكافرين.

٦ ـ الجمع لهم بين الترغيب والترهيب بذكر ما يترتّب على إسلامهم من الفوائد العظيمة والثمار النافعة والخير المستمر في الدنيا والآخرة، وما يترتب على بقائهم على الكفر من الشرور الكثيرة والأضرار

الخطيرة والمفاسد المتوالية في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قول النبي ﷺ في كتابه إلى هرقل ملك الروم:

((... أما بعد فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلَم يؤتك الله أجرك مرَّتين، فإن تولّيت فإنَّ عليك إثم الأريسيّين))[١].

فجمع ﷺ في هذه الجملة بين الترغيب والترهيب[٢].

٧ ـ تنبيههم إلى ما في أديانهم الباطلة من أنواع الشرور والفساد والعواقب الوخيمة والتناقض والاضطراب.

٨ ـ تحذيرهم من طاعة رؤساء الشر ودعاة النار، وأنَّهم لا بدّ أن تتقطّع نفوسهم

(١) صحيح البخاري (رقم:٧).

(٢) وانظر: فتح الباري لابن حجر (٣٩/١).

على طاعتهم حسرات.

٩ ـ تذكيرهم بآلاء الله المتوالية ونعمه المتتالية عليهم، وبيان أنَّه المنفردُ بالخلق والتدبير والنعم الظاهرة والباطنة، وأنَّ من كان كذلك فهو الذي يستحق أن يعبد ويطاع دون ما سواه.

١٠ ـ عقد المقارنات بين ما في الإسلام من محاسن وكمالات وما في أديانهم من مساوئ وجهالات وتناقضات.

١١ ـ مناظرتهم بالعلم الثاقب والبرهان الواضح والحجج البيِّنات، وفي مناظرتهم « فائدتان:

إحداهما: أن يردّ عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكفّ شرّه وعداوته ويتبيّن

للناس أنَّ الذي معه باطل))[١].

١٢ ـ إزالة ما لديهم من مفاهيم خاطئة عن الدين أو تصوّرات مشوَّهة حوله، إذ إنَّ من هؤلاء من قد يبلغه الدين بصورة مشوَّهة بسبب فساد في بعض منتحليه من الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام أو جهل في بعض ناقليه فلا يظهر للمدعوِّين روحُ الإسلام وحقيقتُه وجماله وكماله، فيكون ذلك سبباً في نكوص بعضهم وعدم إقبالهم، فإذا أزيلت تلك التصورات المشوّهة والمفاهيم الخاطئة بدا للمدعوِّين حسن هذا الدين وكماله وبعده عن الشطط والانحراف.

دخل مرّة على شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (١٢٧٦/٤).

رحمه الله ثلاثة رهبان فناظرهم، وأقام عليهم الحجة بأنهم كفار، وأنَّهم ليسوا على دين إبراهيم والمسيح عليهما السلام.

فقالوا له: نحن نعمل مثل ما تعملون: أنتم تقولون بالسيدة نفيسة ونحن نقول بالسيدة مريم، وقد أجمعنا نحن وأنتم على أنَّ المسيح ومريم أفضل من الحسين ومن نفيسة، وأنتم تستغيثون بالصالحين الذين قبلكم ونحن كذلك.

فقال لهم: إي مَن فعل ذلك ففيه شبهٌ منكم، وهذا ما هو دين إبراهيم الذي كان عليه، فإنَّ الدين الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام أن لا نعبد إلاَّ الله وحده لا شريك له ولا ندَّ له ولا صاحبة له ولا ولدَ له، ولا نشرك معه ملَكاً ولا شمساً ولا قمراً ولا كوكباً، ولا نشرك

معه نبياً من الأنبياء ولا صالحاً ... وأخذ يبيِّن لهم توحيد الأنبياء والمرسلين وحقيقته وأنَّه بخلاف ما عليه أولئك المبطلون.

فلمّا سمعوا ذلك منه قالوا: الدين الذي ذكرتَه خيرٌ من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه، ثم انصرفوا من عنده[١].

١٣ ـ الرفق بهم والاجتهاد في مناصحتهم وتأليف قلوبهم والصبر في ذلك وعدم استعجال النتائج والثمرات.

وتأليف قلوب هؤلاء له أثره البالغ عليهم في جلب قلوبهم للخير وتحبيبهم في الهداية وترغيبهم في الإسلام، « كما روى أبو داود أنه استسقى لبعض المشركين لَمَّا طلبوا منه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٠/١ ـ ٣٧١).

أن يستسقي لهم فاستسقى لهم[١]، وكان ذلك إحساناً منه إليهم يتألّف به قلوبَهم كما كان يتألّفهم بغير ذلك »[٢].

وروى الإمام أحمد عن صفوان بن أميّة رضي الله عنه قال: « أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنَّه لأبغضُ النّاس إليَّ فما زال يعطيني حتى صار وإنَّه لأحبُّ النّاس إليَّ »[٣].

---

(١) لم أقف عليه في سنن أبي داود، وروى البخاري في صحيحه (رقم:٤٨٢١) نحوه من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه: « فأُتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمُضر. قال: لمضر؟! إنَّك لجريء، فاستسقى فسُقوا ... »، الحديث.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١٤٥).

(٣) المسند (٦/٤٦٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٦٤)، تفسير قوله: {والمؤلفة قلوبهم} من سورة التوبة.

وروى البخاري في الأدب المفرد بإسناد جيِّد عن مجاهد قال: كنتُ عند عبد الله بن عمرو وغلامُه يسلخ شاةً فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجلٌ من القوم: اليهودي؟ أصلحك الله، قال: «إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أو رُؤينا أنَّه سيورِّثه»[1].

فتأليف القلوب، والرفق بالمدعوِّين، والإحسان إليهم ونحو ذلك له تأثيرٌ بالغٌ في نفوسهم لقبول الخير والقناعة به.

الركائز والأسس التي ينبغي أن تتوفّر في الداعية

---

(١) الأدب المفرد (رقم:١٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم:٩٥).

وهذا يدعونا للحديث عن صفات الداعية الناجح المؤثِّر، أو الركائز والأسس التي ينبغي أن يكون عليها الداعية حتى تؤتي دعوتُه ثمارَها، وهي كثيرة وسأقتصر على ذكر أهمها وأبرزها:

أوّلاً: الإخلاص.

وهو أساس قبول الأعمال كلّها، فإذا عريت منه لم تقبل، قال الله تعالى: {**أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**}[1]، وقال تعالى: {**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**}[2]، فالداعية لا بدَّ أن يكون مخلصاً لله في أعماله ودعوته لربِّه لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا ثناءَ الناس ولا مدحهم وإنَّما يريد بذلك

(١) سورة: الزمر، الآية: (٣).
(٢) سورة: البيِّنة، الآية: (٥).

وجه الله، كما قال تعالى: {**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**}[١]، ففي هذه الآية الكريمة « التّنبيه على الإخلاص؛ لأنَّ كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه »[٢]. ولهذا فإنَّ الداعية المخلص لا يكون همُّه تكثير أتباعه أو ذيوع صيته أو كثرة مدحه أو نحو ذلك، وإنّما همّه ووكده دخول الناس في دين الله وإنقاذهم من النار.

ثانياً: الصدق مع الله.

وهو أساسٌ عظيمٌ لا بدَّ من توافره في الداعية إلى الله في قصده وقوله وعمله، فيمضي في دعوته بعزيمة صادقة ونية

(١) سورة: يوسف، الآية: (١٠٨).
(٢) كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص:٣٣).

صالحة وإرادة صحيحة، كما قال الله تعالى: **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً}**(١)، وإذا كان الداعية صادقاً مع الله في دعوته عباده آتت دعوته ثمارها واطمأنَّ الناس له، وقبلوا دعوته، وأقبلوا عليه، ونفذ كلامه إلى قلوبهم، فإنَّ الذي يخرج من القلب ينفذُ إلى القلب، والذي يخرج من اللسان لا يتجاوز السمع.

ثالثاً: التأسي بالنَّبيِّ ﷺ.

---

(١) سورة: الأحزاب، الآية: (٢٣،٢٤).

إذ هو القدوة والأسوة الحسنة في كلِّ شيء، كما قال الله تعالى: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**}(١)، وأولى الناس بالاقتداء به هم الدعاة إلى الله؛ لأنَّهم يدعون الناس إلى اتباعه والاقتداء به، فوجب أن يكونوا هم السابقين إلى ذلك.

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه أثر في المدعوين بالغ التأثير بكمال سيرته وحسن خُلُقه وجمال آدابه ورفق معاملته ونبل هديه وسمته، ولهذا كان الرجل المنصف بمجرد أن يراه ويسمع حديثه يتيقّن صدقه وصدق ما يدعو إليه، وبمجرد أن يرى وجهه الكريم يعرف أنه ليس بوجه كذاب، فحريٌّ بالدعاة

(١) سورة: الأحزاب، الآية: (٢١).

إلى الله أن يكونوا أكمل الناس اقتداءً به، وأعظم الناس تقيُّداً بسيرته وهديه وآدابه ﷺ.

رابعاً: العلم.

وهو شرط لا بدَّ من توافره في الداعية إلى الله، لا بدَّ أن يدعو إلى الله بعلم وبصيرة، ومن تكلّم فيما لا يعلم يهدم ولا يبني ويفسد ولا يصلح، يقول الله تعالى مبيِّناً نهج النبي ﷺ وأتباعه في الدعوة إلى الله: {**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}[1]، والبصيرة هي العلم الصحيح المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والعلم مقدم على القول والعمل والدعوة إلى الله، كما قال الله تعالى: {**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ**

---

(١) سورة: يوسف، الآية: (١٠٨).

إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}[١]،فبدأ سبحانه بالعلم قبل القول والعمل؛ لأنه « شَرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدّم عليهما لأنَّه مصحح للنية المصححة للعمل »[٢].

وكما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: « مَن عبَدَ اللهَ بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[٣].

ولهذا مدح الله أهلَ العلم في كتابه ونوَّه بذكرهم في آيٍ كثيرة منه، يقول الله تعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ**

---

(١) سورة: محمد، الآية: (١٩).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١/١٦٠) وهو من كلام ابن المنير.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٣٦).

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ}[١]، ويقول تعالى: {**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**[٢]، ويقول تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**[٣].

والداعية إذا لم يصحبه العلم من أوّل قدم يضعه في طريق الدعوة إلى آخر قدم ينتهي إليه فيها، فسلوكه على غير طريق، ومسيره على غير سداد، وهو مقطوعٌ عليه طريق الوصول، مسدودٌ عليه سبيل الهدى والفلاح، ولا ينهى عن العلم إلا قطّاع الطريق ونواب إبليس وشُرَطِه[٤].

خامساً: الرفق.

---

(١) سورة: الزمر، الآية: (٩).
(٢) سورة: المجادلة، الآية: (١١).
(٣) سورة: فاطر، الآية: (٢٨).
(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٦٤).

فينبغي للداعية أن يكونَ رفيقاً بالمدعوين حليماً معهم، طليقَ الوجه ليِّن العريكة، لطيف العبارة كما قال النبي ﷺ: « إنَّ الرِّفقَ لا يكون في شيء إلاَّ زانه، ولا يُنزع من شيء إلاَّ شانه »[١]، وقال ﷺ: « إنَّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي علي الرِّفق ما لا يعطي على العُنف، وما لا يعطي على ما سواه »[٢]، وقال ﷺ: « بشِّروا ولا تنفِّروا ويسِّروا ولا تعسِّروا »[٣]، وقال ﷺ: « من يُحرَم الرفقَ يُحرَم الخيرَ »[٤].

وذلك أنَّ المقصودَ من الدعوة إلى الله تبليغُ شرائع الله إلى الخلق، ولا يتمُّ ذلك إلاَّ

(١) صحيح مسلم (رقم:٢٥٩٤).
(٢) صحيح مسلم (رقم:٢٥٩٣).
(٣) صحيح مسلم (رقم:١٧٣٢).
(٤) صحيح مسلم (رقم:٢٥٩٢).

إذا مالت قلوبهم إلى الداعي وسكنت نفوسهم إليه، وذلك إنَّما يكون إذا كان الداعي رحيماً كريماً؛ ولذا قال الله تعالى في حق رسوله ﷺ سيِّد الأنبياء والمرسلين: {**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**}(١)، أي لو كنت خشناً جافياً في معاملتهم لتفرقوا عنك، ونفروا منك، ولم يسكنوا إليك ولم يتم أمرك من هدايتهم وإرشادهم إلى الصراط السوي.

ثم إنَّ الداعية أياًّ كانت منزلته وأياًّ كان عقله وعلمه ليس بأفضل من موسى وهارون عليهما السلام، ومن وجّهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٥٩).

الله باللين معه في قوله: {**فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**}(١)(٢).

سادساً: الصبر.

وهو خُلُقٌ فاضلٌ كريمٌ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وزكاتها وقوامها، وهو من أهم المهمات ومن أعظم الواجبات، ولا سيما في حق الدعاة إلى الله وإلى دينه القويم، ولهذا أمر الله به أنبياءَه ورسلَه عليهم السلام وهم سادةُ الدعاة إلى الله ومقدموهم، وأمر به إمامَهم وخاتمَهم محمداً ﷺ، قال الله تعالى: {**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا**

(١) سورة: طه، الآية: (٤٤).
(٢) انظر: فتاوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله (ص:٣١١).

الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ}[١]، وقال تعالى: {**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ** بالله **وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**}[٢]، وقال تعالى: {**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**}[٣]، وإن لم يكَن الداعية صبوراً انقطع من أوّل الطريق وانثنى من أوّل المسير؛ لأنَّه لا بدَّ أن ينتابه فيه شيء من الأذى والابتلاء، فإن لم يكن متحلّياً بالصبر لم يستطع المضي في طريق

---

(١) سورة: الأحقاف، الآية: (٣٨).

(٢) سورة: النحل، الآية: (١٢٧،١٢٨).

(٣) سورة: الأنعام، الآية: (٣٤).

الدعوة، قال تعالى: {**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**}[١].

« فلا بدَّ من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كلٌّ من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال، وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ... « لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلاَّ مَن كان فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه » »[٢].

سابعاً: القدوة الحسنة.

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٧/٢٨).

فالداعية إلى الله ينبغي أن يكون سباقاً إلى الخير، منافساً في الطاعات، مبتعداً عن الشر، لا يرى فيه المدعوون إلاَّ الأخلاقَ الحميدة والمعاملات الكريمة وحسن السيرة والجد والاجتهاد في تطبيق ما يقول كما قال الله تعالى عن نبيِّه شعيب عليه السلام: {**وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**}[1]، خلافاً للذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يأمرون من دعاة الباطل وأئمّة السوء.

يقول ابن القيم رحمه الله: « علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلُّموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاًّ

(١) سورة: هود، الآية: (٨٨).

كانوا أوّل المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاّء وفي الحقيقة قطاع الطرق »[(١)].

والداعية بسيرته الحميدة وبحسن تطبيقه لما يدعو إليه يؤثر في الناس تأثيراً أبلغ من تأثير القول والكلام، فكما يقال: الدعوة بلسان الحال أبلغ منها بلسان المقال.

ثامناً: حسن الخلق.

فإنَّ الداعية بحسن خُلقه وطيب معاملته وكريم معشره يؤثّر في المدعوين أعظم التأثير، ويجذب قلوبهم إليه، ويأسر نفوسهم ويحرِّك مشاعرهم، قال ﷺ: « إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً »[(٢)]، وقال ﷺ: « إنَّ من أحبكم

(١) الفوائد (ص:٨٠).
(٢) صحيح البخاري (رقم:٣٥٥٩).

إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً »[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: « إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[٢].

وحسن الخلق كما يقول ابن القيم رحمه الله يقوم على أركان أربعة لا يتصور قيام ساقه إلاَّ عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

١ ـ فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكفِّ الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

---

(١) سنن الترمذي (رقم:٢٠١٨)، وحسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (رقم:٢٢٠١).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم:٢٧٣)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم:٤٥).

٢ ـ والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

٣ ـ والشجاعة تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشِّيَم وعلى البذل والندى، وتحمله على كظم الغيظ والحلم.

٤ ـ والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط.

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة(١).

فبمثل هذه الصفات الرائعة والنعوت الكريمة والمثل الرفيعة أثر سادات الدعاة

(١) مدارج السالكين (٣٠٨/٢).

وأئمة الهدى في الناس وجذبوا قلوبهم إلى هذا الدين الحنيف.

تاسعاً: بذل الوسع.

ولا بدَّ مع ذلك من بذل الوسع والطاقة في الدعوة إلى الله، والجد والاجتهاد في نشر الخير، وعدم التقاعس والكسل في هذا الأمر العظيم والله يقول: {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**}(١).

عاشراً:

الإيمانُ بأنَّ الهداية والتوفيقَ بيد الله وحده، يهدي من يشاء ويضلل من يشاء كما قال تعالى: {**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ**

---

(١) سورة: العنكبوت، الآية: (٦٩).

بِالْمُهْتَدِينَ}[١]، والذي بيد الداعية بتوفيقٍ من الله هو البيانُ والإرشاد والدعوةُ بالحكمة والموعظة الحسنة.

فعلى الداعية أن يأخذ بالأسباب المناسبة والطرق الصحيحة، وأن لا ييأس إن لم يُجِب إلى دعوته أحد فإنَّ الأمرَ لله من قبلُ ومن بعدُ، إذ إنَّ من أنبياء الله من يأتي يوم القيامة ولم يُجِب دعوته أحد ومنهم من يأتي ومعه الرجلُ والرجلان، كما قال عليه الصلاة والسلام: « عُرضت عليَّ الأممُ فرأيت النَّبيَّ ومعه الرُّهَيْط والنَّبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنَّبيَّ ليس معه أحد ». رواه البخاري ومسلم[٢].

---

(١) سورة: القصص، الآية: (٥٦).

(٢) صحيح البخاري (رقم:٥٧٥٢)، وصحيح مسلم =

حادي عشر:

الاستعانةُ بالله وحده واللجوءُ الدائم إليه، وكثرةُ دعائه وسؤاله العونَ والتوفيقَ كما قال تعالى عن نبيِّه شعيب عليه السلام: {**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ** بالله **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**}[1]، وأن يدعو لَهمَ بالهداية، كأن يقول للمدعو: هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، ولهذا فإنَّ النبي ﷺ لما قيل له عن دوس: إنَّهم عصوا، قال: « اللَّهم اهْدِ دوساً وائْتِ بهم »[2]، فدعا لهم صلوات الله وسلامه عليه بالهداية[3].

(رقم:٣٧٤). واللفظ لمسلم.

(١) سورة: هود، الآية: (٨٨).

(٢) صحيح البخاري (رقم:٤٣٩٢).

(٣) انظر: فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز =

وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن عبد الرحمن قال: حدّثني أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كنت أدعو أمّي إلى الإسلام وهي مشركةٌ فدعوتُها يوماً فأسمعتني في رسول الله ما أكرهُ، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إنِّي كنتُ أدعو أمِّي إلى الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتُها اليوم فأسمعتني فيك ما أكرهُ فادعُ الله أن يهديَ أمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اهد أمَّ أبي هريرة»، فخرجتُ مستبشراً بدعوةِ نبيِّ الله ﷺ، فلمَّا جئتُ فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مجافٌ، فسمعتْ أمّي خشفَ قدميَّ فقالت: مكانك يا أبا هريرةَ! وسمعتُ خضخضةَ الماء، قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعَها وعجلتْ

رحمه الله (٣٥١/١).

عن خمارها ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرةَ! أشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمَّ أبي هريرة، فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال خيراً.

قال قلت: يا رسول الله! ادعُ اللهَ أن يحبِّبني أنا وأمِّي إلى عباده المؤمنين، ويحبِّبهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: « اللهمَّ حبِّب عُبَيْدَكَ هذا - يعني أبا هريرة - وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين »، فما خُلق مؤمنٌ يسمعُ بي ولا يراني إلاَّ أحبَّني »[1].

وفي هذه القصة فوائدُ جمَّة وعبَرٌ مهمّة

---

(١) صحيح مسلم (رقم: ٢٤٩١).

يفيدها الداعيةُ عند التأمُّل لمعانيها والتفكُّر في دلالتها.

هذا، والتوفيق بيد الله وحده، وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل، وصلّى اللهُ وسلّم على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

. **الأدب المفرد** للإمام البخاري، تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.دار البشائر الإسلامية (بيروت). الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ).

. **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير، ط.دار المعرفة (بيروت) (١٣٨٨هـ).

. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط.المكتب الإسلامي (ط.الثالثة).

. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ط.الجامعة الإسلامية.

. **سلسلة الأحاديث الصحيحة** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ).
. **سنن الترمذي** للإمام الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.دار الكتب العلمية (بيروت).
. **شرح صحيح مسلم** للنووي، ط. المطبعة المنصورية.
. **صحيح الأدب المفرد** للإمام البخاري، بقلم: محمد ناصر الدين الألباني، ط. دار الصديق للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
. **صحيح الإمام البخاري**، ط. دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
. **صحيح الإمام مسلم**، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الحديث (القاهرة). الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

. **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط.المكتب الإسلامي (بيروت). الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ).

. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** لابن القيم، تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، ط.دار العاصمة (ط.الأولى) (١٤٠٠هـ).

. **فتاوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد**، أعده عمر بن محمد بن عبد الرحمن القاسم، ط.دار القاسم (ط. الأولى) (١٤١٨هـ).

. **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري** لابن حجر، ط.دار المعرفة (بيروت).

. **الفوائد** لابن القيم، تحقيق: أحمد راتب، ط.دار النفائس (ط.الرابعة) (١٤٠٣هـ).

. **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن** للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله. (النسخة الخطية).

. **كتاب التوحيد** لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، (ط.الثالثة)، ط.مؤسسة النور (الرياض) (١٣٩٠هـ).

. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،** جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، ط.المغرب، على نفقة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

. **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله،** أشرف على تجميعه وترتيبه د.محمد بن سعيد الشويعر، الطبعة الثانية (١٤١١هـ).

. **مدارج السالكين** لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط.دار الكتاب العربي

(بيروت).

. **مقومات الداعية الناجح** للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

. **نصيحة للدعاة إلى الله تعالى**، بقلم: الشيخ أحمد ابن يحيى النجمي، ط.مكتب التعاون للدعوة والإرشاد (الرياض).

* * *



فهرس الموضوعات

* * *
*